

تفسير البحر المحيط

@ 288 أي : انتحى . ومن قال : هو محذوف ، وهو رأي البصريين ، فقدرة الزمخشري :
فعلوا به ما فعلوا من الأذى ، وحكى الحكاية الطويلة فيما فعلوا به ، وما حاوروه وحاورهم
به . قدره بعضهم : فلما ذهبوا به وأجمعوا أن^٥ يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم ،
وقدّره بعضهم جعلوه فيها ، وهذا أولى إذ يدل عليه قوله : وأجمعوا أن يجعلوه والظاهر
أنّ الضمير في وأوحينا إليه عائد على يوسف ، وهو وحي إلهام قاله مجاهد . وروي عن ابن
عباس : أو منام . وقال الضحاك وقتادة : نزل عليه جبريل في البئر . وقال الحسن : أعطاه
الأنبوة في الجب وكان صغيراً ، كما أوحى إلي يحيى وعيسى عليهما السلام ، وهو ظاهر
أوحينا ، ويدل على أنّ الضمير عائد على يوسف قوله لهم قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وأخيه إذ أنتم جاهلون . وقيل : الضمير في إليه عائد على يعقوب ، وإنما أوحى إليه ليأنس
في الظلمة من الوحدة ، وليبشر بما يؤول إليه أمره ، ومعناه : للتخلص مما أنت فيه ،
ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك . وهم لا يشعرون جملة حالية من قوله : لتنبئنهم بهذا أي :
غير عالمين أنك يوسف وقت التنبئة قاله ابن جريج ، وذلك لعلو شأنك وعظمة سلطانك ، وبعد
حالك عن أذهانهم ، ولطول العمر المبدل للهيئات والأشكال . وذكر أنهم حين دخلوا عليه
ممتارين فعرفهم وهم له منكرون ، دعا بالصواغ فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال : إنه
ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له : يوسف ، وكان يدنيه دونكم ، وأنكم
انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم : أكله الذئب . وبيع بثمن بخس ، ويجوز
أن يكون وهم لا يشعرون حالاً من قوله : وأوحينا أي : وهم لا يشعرون ، قاله قتادة . أي :
بإيحائنا إليك وما أخبرناك به من نجاتك وطول عمرك ، إلى أن تنبئهم بما فعلوا بك . وقرأ
الجمهور لتنبئنهم بناء الخطاب ، وابن عمر بياء الغيبة ، وكذا في بعض مصاحف البصرة .
وقرأ سلام بالنون . .

والذي يظهر من سياق الأخبار والقصص أن يوسف كان صغيراً ، فقليل : كان عمره إذ ذاك سبع
سنين . وقيل : ست ، قاله الضحاك . وأبعد من ذهب إلى أنه اثنتا عشرة سنة ، وثمان عشرة
سنة ، وكلاهما عن الحسن ، أو سبع عشرة سنة قاله ابن السائب . ويدل على أنه كان صغيراً
بحيث لا يدفع نفسه قوله : وأخاف أن يأكله الذئب ويرتع ويلعب وإنما له لحاظون ، وأخذ
السيارة له ، وقول الوارد : هذا غلام ، وقول العزيز : عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ،
وما حكى من حملهم إياه واحداً بعد واحد ، ومن كلامه لأخيه يهوذا : ارحم ضعفي وعجزي
وحداثة سني ، وارحم قلب أبيك يعقوب . ومن هو ابن ثمان عشرة سنة لا يخاف عليه من الذئب

ولا سيما إن كان في رفقة ، ولا يقال فيه : وإنما له لحاظون ، لأنه إذ ذاك قادر على التحيل في نجاه نفسه ، ولا يسمى غلاماً إلا بمجاز ، ولا يقال فيه : أو نتخذه ولداً . وعشاء نصب على الطرف ، أو من العشوة والعشوة : الظلام ، فجمع على فعال مثل راع ورعاء ، ويكون انتصابه على الحال كقراءة الحسن عشا على وزن دجى ، جمع عاش ، حذف منه الهاء كما حذفت في مالك ، وأصله مالكة . وعن الحسن عشيّاً على التصغير . قيل : وإنما جاؤوا عشاء ليكون أقدر على الاعتذار في الظلمة ، ولذا قيل : لا تطلب الحاجة